

المعلقة السادسة
(أو كتاب الفرح)

المعلقة السابعة
(أو كتاب الخلود)

ديزيره سقال

المعلقة السابعة

(أو كتاب الخلود)

الطبعة الأولى

٢٠١٦



بيروت - لبنان / هاتف + فاكس ٨٢٣٤٥٨ / ٠١

هاتف: ٣١٢٧٣٣ / ٠١ ص.ب.: ١٣٦١٠١

مقدمة

كَانَتْ مَسْأَلَةُ الوجودِ أُولَى مُعْضَلَاتِ
الإنسانِ الَّذِي رَأَى نَفْسَهُ يُوَجِّهُ المَوْتَ، مُنْذُ
فَجْرِ الخَلِيقَةِ؛ وَكُلَّمَا ازدَادَ الوَعْيُ فِي الإنسانِ
تَفَاقَمَتِ هَذِهِ المَسْأَلَةُ، لِأَنَّ وَعْيَهُ المَتَزَايِدَ بِذَاتِهِ
يَجْعَلُهُ أَكْثَرَ إِحْصَا عَلَى أَنْ يُبْعِدَهَا عَنِ الزَّوَالِ.

وَجَاءَتِ الأَدْيَانُ القَدِيمَةُ لِتُكْشِفَ لِلبَشَرِ
أَنَّ الآلِهَةَ خَالِدَةٌ، **وَأَنَّهم** مُحْكَمُونَ بِالزَّوَالِ؛
وَكَانَتْ رَحَلَاتٌ فِي المِثُولُوجِيَا وَالْمَلَا حِمِ
القَدِيمَةِ، بَحْثًا عَنِ الخُلُودِ، انْتَهَتْ كُلُّهَا بِالْفَشْلِ.

ثُمَّ ظَهَرَتِ الْأَدْيَانُ السَّمَاوِيَّةُ الَّتِي كَشَفَتْ
لِلْإِنْسَانِ أَنَّهُ مَجْمُوعٌ مُتَنَاقِضِينَ: فَقَسَمَ مِنْهُ
تُرَابِييَ، زَائِلٌ، وَقَسَمَ مِنْهُ إِلَهِيَّ خَالِدٌ، لِأَنَّ
مَصْدَرَهُ مِنْ لَدُنِ اللَّهِ، فَحَقَّقَتْ بِهَذَا أَقْصَى مَا
يَطْمَحُ الْبَشَرُ إِلَيْهِ: الْخُلُودَ.

وَلَكِنَّ الْوَعْيَ الْمَتَزَايِدَ فِي الْإِنْسَانِ ظَلَّ
يُلِحُّ عَلَيْهِ لِيَبْحَثَ... وَكُلَّمَا أَزْدَادَتْ رَهَافَتُهُ
أَزْدَادَ إِحْسَاسًا بِأَنَّ ذَاتَهُ نَفْسَهَا هِيَ الَّتِي تُعْطِي
الْوُجُودَ مَعْنَى، فَمَا حَوْلَهُ مَادَّةٌ غُفْلٌ، تَكْتَسِبُ
مَعَانِيهَا مِنْ ذَاتِ مَنْ يَعْقِلُهَا، وَبِالتَّالِي تَكْتَسِبُ
مِنْهُ وَجُودَهَا الْفِعْلِيَّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ.

وَجَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْ هَذِهِ الْكُشُوفِ فِعْلًا عَقْلِيًّا
مُحَضًّا، فَكَانَتِ الْفَلَسَفَةُ؛ لَكِنَّ الْقِسْمَ الْعَمِيقَ
فِي الْإِنْسَانِ، فِي حَرَكَتِهِ الدَّائِمَةِ تَحْتَ جَلِيدِ
السَّطْحِ، ظَلَّ لُغْزًا مُتَأَلِّقًا فِي الْإِمْكَانِ الْمَفْتُوحِ،
فَكَانَتِ الْفُنُونُ تَعْبِيرًا عَنِ الشُّعُورِ، أَيْ عَمَّا
يُقَلَّتْ مِنْ صِرَامَةِ الْعَقْلِ، وَرَبَطًا بَيْنَ عَالَمَيْنِ:
عَالَمِ الْمَادَّةِ الْفَانِي، وَعَالَمِ الرُّوحِ الْخَالِدِ؛ وَهِيَ
تَسْحَبُ الْإِنْسَانَ مِنْ بَشَرِيَّتِهِ الْمَأْلُوفَةِ لِتَجْعَلَهُ
خَالِقًا بَامْتِيَازٍ، تَشُدُّ بِهِ إِلَى فَوْقِ، لِيَخْرُجَ نَحْوَ
الْمَطْلُوقِ. وَالشُّعْرُ، لَمَّا كَانَ أَرْقَى الْفُنُونِ جَمِيعًا،
لِأَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّكْلِ وَالْمَعْنَى وَالْمُوسِيقَى،

وَيُضِيفُ إِلَيْهَا الْحَرْفَ، عَبَّرَ عَنِ الْمَعْضِلَةِ الْعَمِيقَةِ
فِي جَوْهَرِ الْمَسْأَلَةِ: عَنِ الصَّرَاحِ الدَّائِمِ فِي ذَاتِ
الشَّاعِرِ بَيْنَ الْوَاقِعِ وَالْمَثَالِ، بَيْنَ الْخُلُودِ وَالزَّوَالِ،
وَالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَالْجَمَالِ وَالْقُبْحِ، وَالْوَاحِدِ
وَالْمُتَكَثِرِ، وَالْمَطْلَقِ وَالْمَحْدُودِ... وَكُلُّ هَذِهِ
مُتَنَاقِضَاتٌ تَتَصَارَعُ دَاخِلَ الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ،
وَتَمْنَحُ الْإِنْسَانَ مَقْدِرَةً عَلَى وَعْيِ الْوُجُودِ،
وَإِدْرَاكِ الْقُدْرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ فِيهِ، فَيَتَحَرَّكُ نَحْوَهَا،
وَيَخْرُجُ مِنْ عَرَضِيَّةِ الْعَالَمِ الْمَحْكُومِ بِالزَّمَانِ
وَالْمَكَانِ، إِلَى الْأَبَدِ الْمُتَفَلَّتِ مِنْ حِصَارِ الْمَكَانِ،
وَتَهْدِيدِ الزَّمَانِ. هَكَذَا يَقْهَرُ الْمَوْتَ، وَيُحَقِّقُ

ذَاتَهُ وَقَدْرَهُ الْأَبْعَدَ: الخلود، مِنْ خِلَالِ الشَّعْرِ،
لِيَكُونَ صَوْتٌ نُبُوَّةٍ، وَظِلٌّ لِإِلَهِ.

هَذِهِ هِيَ الْأَشْغُولَةُ الْمُرْكَزِيَّةُ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَيْهَا
المُعَلَّقَةُ السَّابِعَةُ: انْشِدَادُ الْإِنْسَانِ نَحْوَ الْخُلُودِ،
وَأَنْتِصَارُهُ الْحَتْمِيِّ عَلَى الْمَوْتِ بِالشَّعْرِ؛ لِهَذَا
أَسَمَيْتُهَا: «كِتَابَ الْخُلُودِ»، وَخَتَمْتُهَا بِالْوُصُولِ
إِلَى الْأَبَدِيَّةِ، وَبِالتَّحْقِيقِ الْمَطْلُوقِ لِلذَّاتِ،
وَقَسَمْتُهَا اثْنَيْ عَشَرَ مَقْطَعًا، لِأَنَّ هَذَا الرَّقْمَ يَدُلُّ
عَلَى الْكَمَالِ، تَمَامًا كَالرَّقْمِ سَبْعَةٍ. وَكُنْتُ بَدَأْتُ
هَذِهِ الرَّحْلَةَ فِي الْمُعَلَّقَةِ الْأُولَى، وَأَكْمَلْتُ فِي مَا

أَعَقَبَهَا، عَابِرًا مِنْ طُفُولَتِي، إِلَى شَبَابِي الَّذِي
تَعَرَّفْتُ فِيهِ إِلَى الشُّعْرِ، فَأَبْتَقَانِي شَابًّا، وَمَنْهُ إِلَى
الْحُبِّ، أَسْمَى الْمَشَاعِرِ الْبَشَرِيَّةِ، وَصَوْلًا إِلَى هَذِهِ
الْمَعْلَقَةِ الْأَخِيرَةِ. وَكَانَتْ تَتَنَازَعُنِي دَائِمًا رَغْبَةً
فِي الْوُصُولِ إِلَى مَا هُوَ خَارِجَ الْمَحْدُودِ، تَحْقِيقًا
لِلذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ دَاخِلِي فِي قِمَّةِ اكْتِمَالِهَا؛
وَكَانَ الصَّرَاحُ بَيْنَ النُّقْصَانِ وَالتَّمَامِ، وَالْوَاقِعِ
وَالْمَثَالِ، يُحَرِّكُ ذَاتِي فِي كُلِّ آنٍ.

وَبَعْدُ،

أَلَا يَكُونُ الْفَنُّ عُمُومًا، وَالشُّعْرُ خُصُوصًا،
بَابًا يُدْخِلُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْأَبَدِيَّةِ؟

«هَزَمْتُكَ، يَا مَوْتُ، الْفُنُونَ جَمِيعُهَا.»

(محمود درویش)

غَارِقًا فِيَّ،

أَقْرَأُنِي

مِثْلَ حَرْفِ تَخَبُّأَ بَيْنَ الرَّذَادِ،

وَأَلْقَى بِقِسْمِيهِ

فِي أَلْقِ الذَّاكِرَةِ...

غَارِقًا فِيَّ،

أَبْحَثُ عَنِّي،

أُمْلِئْ مِنْ مِي وَ مِيضَ الْكِيَانِ،

وَاعْبُرْ فِي الصُّورِ الْعَابِرَةَ:

كُلُّ مَا فِيَّ مُنْفَتِحٌ

يَتَأَرَّجُ حَوْلِي،

وَيَرْشَحُ مِنْ حَلَلِ الْخَاطِرَةِ...

كُلُّ مَا فِيَّ

يَحْمِلُ خَتَمَ الزَّمَانِ وَخَطْوَاتِهِ

كَيْ تُقْفِيَهُ الذَّاتُ،

أَوْ يَجْرَحُ الْعُمَرَ كَالْبَرْقِ عَبْرَ الْغُيُومِ،

وَسَكِينُهُ الذِّكْرِيَّاتُ،
وَنَزْفُ شَرَايِينِهِ اللُّغَةُ المَاكِرَةُ...
كُلُّ شَيْءٍ يُشِيرُ إِلَيَّ
كَأَنِّي أَنَا الْأَصْلُ
فِي كُلِّ هَذَا الوجودِ
أُحِيلُ إِلَيَّ الخَلِيقَةَ أَخِيْلَةً
فِي حُرُوفٍ...
كَأَنِّي أَنَا
تَرْجُمَانُ الوجودِ الَّذِي يَتَنَاطَرُ حَوْلَ كِيَانِي

لُقَيَاتِ شِعْرِ

يُحَرِّرُهَا الشُّعْرُ فِي نَارِهِ الْآسِرَةَ!

* * *

هَكَذَا

يَعْمَسُ الشُّعْرُ أَحْرَفَهُ

فِي صَدَى الذُّكْرِيَّاتِ...

هَكَذَا

يَفْتَحُ الْقَلْبُ

مَا خَبَّأَتْهُ السُّنُونُ
وَمَا نَثَرَتْهُ رِذَاذًا
عَلَى مَدِّ أَيَّامِهَا الْهَائِمَاتِ ...
هَكَذَا

يُحِرُّ الزَّمَنُ الْمُتَكَاثِرُ

عَبْرَ خَلَائِي

مِثْلَ السَّفِينَةِ،

أَوْ

مِثْلَ لِصٍّ

يُفْتَشُّ بَيْنَ زَوَايَايَ عَنْ غُنْمِهِ ...

وَأَنَا مُبْحَرٌّ فِيَّ،

أَلْتَقِطُ الصُّورَ الْعَابِرَاتِ،

أُنْحَنِي فَوْقَ عُمْرِي

لِأَقْرَأَ أَحْرَفَهُ

وَأُضِيءَ بِهَا أَلْقِي،

وَأَعُودَ إِلَيَّ كَثِيرًا ... كَثِيرًا ...

تَقَاطِعُ فِيَّ الْمَجْرَاتِ وَالكَوْنُ حَوْلِي

وَكُلُّ الْمَخَالِيقِ فِي مَا يُحِيطُ كِيَانِي،

وَأَخْلَامِي الرَّائِعَةَ...

وَأَسْتَلُّ مِنْ حُرُوفِ الْقَصِيدَةِ،

أَقْرَأُ ذَاتِي

وَأَكْتُبُهَا فِي الْمَعْلَقَةِ السَّابِعَةِ!

أَعُودُ إِلَى ثَنَايَا الْوَقْتِ
طِفْلاً يَقْرَأُ الدُّنْيَا
بِعَيْنِ الدَّهْشَةِ الْأُولَى،
وَيَقْتَرِفُ التَّسَاوُلَ
مُوغِلاً بِغَرَابَةِ الْمَكْشُوفِ،
مَذْهُولاً بِأَحْرُفِهِ الْمَضِيئَةِ...
وَكُلُّ النَّاسِ مِنْ حَوْلِي شَرَارَاتُ

تُمرُّ على جُفونِ الوَقتِ
يَقْرَأُهَا لِيَكْشِفَ عَن مَعَانِيهَا الحَيِّئَةَ.
ذُهولًا كُنْتُ مِنْ زَمَنِ،
أَرَأَيْتُ قُبَّةَ المَجْهولِ تَسْحَرُنِي،
وَتَأْخُذُنِي مَعَانِيهَا...
وَكُنْتُ غَرَابَةَ الوَعْيِ
الَّذِي انْفَتَحَتْ بِعَيْنِيهِ المَعَانِي،
وَسَافَرَتِ الحُرُوفُ إِلى مِدَادِي
حِينَما بَدَأْتُ لِقْيَاهُ تَفْتَقُ

في فضاء الشَّعرِ -
والشَّعرُ المَجَنِّحُ
يَحْمِلُ الأَشْيَاءَ في نَظري،
وَيَحْمِلُ لي كِيانِي ...
وَشَرَّعْتُ المَدَى،
وَطَفَرْتُ نَحْوَ صِبايِ
يُغْرِينِي الصِّبا بِدَلالِهِ
وَيَشْتُقُّ في زَهْوِي زَماني ...
وَآخَيْتُ المَرارَةَ والحُبورَ

بِقَلْبِي الْمَفْتُوحِ،
وَأَنْتَظَرْتُ حَيَاتِي
أَنْ تُقَطِّفَ مِنْ تَنَاوُضِهَا
ثِمَارَ الْمُسْتَحِيلِ ...
وَأَنْ يَجِيءَ شَبَابُهَا الدَّفَاقُ بِالْأَحْلَامِ
تَرْسُومِي بِعَيْنَيْهَا شُعَاعًا،
ثُمَّ أَجْهَلُ مَا عَرَانِي!
وَصَارَ الْحَرْفُ لِي كَوْنِي،
وَصَارَ الشُّعْرُ رَايَاتِي أُعْلِيهَا

وَأُغْمِدُهَا بِقَلْبِ الْكَوْنِ

فِي أَبَدِيَّةٍ بَيِّضَاءَ

أَدْخُلُهَا...

وَأَحْلُمُ بِالْأَمَانِ...

* * *

شَبَابِي رَوْحِي الْبَيِّضَاءُ

تُحِينِي

وَتَدْفُقُ فِي عُرُوقِي

مِثْلَ شَلَالٍ مِّنَ النَّارِ الَّتِي التَّهَبَّتْ

لَتَعْرِفَ لِحَنَهَا فِي الْقَلْبِ ...

أَرْفَعُهُ انْتِمَاءً،

يَصُونَ خُلُودِي الْمَعْجُونَ بِالْإِيمَانِ

وَهُوَ يُظِلُّ الدُّنْيَا

وَيَجْعَلُهَا قَصِيدَتَهُ،

وَيُعَلِّمُهَا اشْتِهَاءً.

شَبَابِي يَحْفَرُ الْأَبْدِيَّةَ الْبَيْضَاءَ

أَنْ تَحْتَلَّ رُوحِي،

وَيَنْشُرُ رَايَةَ الشُّعْرِ الْمَجْنَحِ فَوْقُ... .

في أعلى جُموحِي... .

يَرَى، مِنْ فَوْقُ،

هَذَا الْكُونِ،

يَهْدِمُهُ وَيَبْنِيهِ،

وَيَعْجُنُهُ بِطِينِ الْخَلْقِ

كَيْ يَغْدُو فِتْيًا

صَالِحًا لِيَكُونَ مُتَدًّا

عَلَى رُؤْيَا طُمُوحِي .

يَخْرُجُ الْوَقْتُ مِنْ بَيْتِهِ الْمُتَعَالِي
وَيَنْزِلُ نَحْوِي...
لِيَشْرَبَ قَهْوَتَهُ
وَيُؤَاكِلَنِي وَاِدْعَا... وَاِدْعَا...
يَغْرُقُ الْوَقْتُ فِي نَاطِرِي،
يَذُوبُ... كَحَبَّةِ سُكَّرٍ،
وَيُصْبِحُ أَصْغَرَ!

يُنزِلُ الْوَقْتُ مِنْ بُرْجِهِ الْمُتَعَالِي،

وَيُنزِلُ عَنْ ظَهْرِهِ عِبَّهٗ،

وَيُعَانِقُنِي...

مِثْلَ شَيْخٍ يَعُودُ إِلَيْهِ الشَّبَابُ،

وَيَعْدُو بِظِلِّي لَوْزًا مُقَشَّرًا...

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِبَائَتِهِ

غَيْرُ قَالِبِ حَلْوَى

وَرَبِّهِ
يَزِينُهُ،

وَيُقَاسِمُنِي طَعْمَهُ.
كُلَّمَا ذُقْتُهُ أَشَقَّرَ شَعْرِي
لِأَخْرَجِ مِنْ نِظْرَةِ الْوَقْتِ
أَوْ غَلَّ فِي الْبُعْدِ عَنْهُ...
وَلَا بَيْتَ لِي، بَعْدُ...
لَا أَرْضَ...
لَا شَجَرًا أَوْ زَمَانًا.
كُلُّ هَذَا الْمَكَانِ
ضَاقَ فِي مُطْلَقِي

حِينَ وَشَحَهُ الْقَلْبُ بِالشَّعْرِ
فَامْتَصَّ كُلَّ الْوُجُودِ الْكِيَانَ!

* * *

يَخْرُجُ الْوَقْتُ مِنْ بَيْتِهِ

لِيَصِيرَ أَلْيَفًا...

يَخْرُجُ الْوَقْتُ مِنْ جِلْدِهِ

نَحْوَ أَفْقٍ يُحَاصِرُهُ الزَّمَنُ الْمُتَوَقِّفُ

عِنْدَ حُدُودِ الشَّبَابِ،

وَأَمْسَحُ فِيهِ رُتُوبَ اللَّيَالِي،

وَأَنْزَلُ

فِي كُلِّ قَلْبٍ كَقَلْبِي

لِأَجْمَعِ مِنْ كُوَّةِ الشَّعْرِ

بِاقَاتِ أَحْرَفِهِ وَرَوَاهُ

فَيَنْبِضُ كُلُّ الْمَدَى

مِنْ خِلَالِي...

* * *

هَكَذَا ظَلَّ فِي الزَّمَانِ فَتِيًّا،

وَعَاصِرْتُهُ دَائِمًا فِي رَحِيلِي...

وَكُنْتُ، إِذَا زَوَّجْتَنِي تَقَاطِيعُهُ،

أَعْبُرُ الْآخَرَ الْمُسْتَحِيلَ

لِيَعْدُوا، بَعْدُ، زَمِيلِي!

وَلَكِنِّي

كُنْتُ أَحْضَرُهُ بَيْنَ عَقْلِي وَقَلْبِي

لِيَرْقَى إِلَيَّ،

وَأَنْزَلُهُ فِي غِمَارِ كِيَانِي

لِيَعْدُوا أَشَقَرَ مِثْلِي

وَمِثْلَ الزَّمَانِ الَّذِي أَشَقَرَ بِي

كَيْ يَكُونَ مَثَلِي ...

هَكَذَا صَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ الزَّمَانِ

قُصُورٌ مِنَ الشَّعْرِ،

نَسَكُنُهَا،

وَنُسُورُهَا بِالرُّؤْيَى

وَالْخُلُودِ الْجَمِيلِ ...

ذَاتِي الَّتِي نَمَيْتُهَا بِالشَّعْرِ

تَسْكُنُ عَالَمِي

وَتَفِيضُ فِي مَا حَوْلَهَا

لِتُؤَبِّدَ الْأَشْيَاءَ حِينَ تَمْسُهَا،

وَالْوَاقِعُ الْمَرْذُولُ يَسْحَبُهَا إِلَيْهِ،

فَتَنْطَوِي ذَاتَيْنِ:

وَاحِدَةً تُمَدُّ بِيَاضِهَا وَخُلُودَهَا فَوْقَ الْمَدَى،

وَتَقُدُّهُ الْأُخْرَى بِنُقْصَانِ الزَّوَالِ .

وَعَمِي رَهَيْبٌ ذَرْدَرُ النُّقْصَانِ

فِي رَجْعِ التَّكَامُلِ

فَاخْتَوَى الذَّاتَيْنِ فِي قَلْبِي

صِرَاعٍ دَائِمٍ يَنْمُو

عَلَى حَدِّ الْمَحَالِ :

ذَاتٌ تُؤَبِّدُ نَبْضَهَا الْعُلُويَّ

مِنْ فَوْقٍ ،

تُوحِّدُ نَفْسَهَا

فِي الْمَطْلَقِ الْأَبَدِيِّ،
وَالْأُخْرَى يُجَزُّهَا التَّكَاثُرُ، تَحْتُ،
عَاكِفَةً عَلَى نُقْصَانِهِ،
لَكِنْ تَتَوَقُّ إِلَى الْكَمَالِ!

* * *

كَيْفَ اضْطَبَّرْتُ عَلَى صِرَاعَاتِي!
فَأَخَيْتُ الْوِلَادَةَ وَالرَّادِي،
وَتَجَمَّعَتْ ذَاتِي بِحَدِيثِهَا
عَلَى سَمْتِ الْمَدَى الْمَفْتُوحِ،

فَوقَ الكَوْنِ،

فأَحْتَوَتِ المَدَى!

كَيْفَ انْفَجَرَتْ مَعَ الصَّدى

فَتَوَزَّعَتْ كِسْرِي الزَّوايا،

وَأَرْتَدَيْتُ الأَقْنَعَةَ!

ثُمَّ اجْتَمَعْتُ

فَسالَ في حِبري

رُؤْايَ المَبْدَعَةَ...

قَبَضْتُ يَدَايَ عَلَى الضِّيَاءِ

فَعَصَّرْتُهُ،

وَسَأَلَ مِنْهَا أَحْرَفًا خَفَاقَةً

تَتَمَوَّرُ إِلَى الْأَبْدِيَّةِ الْبَيْضَاءِ،

تَحْمِلُ فِي قَرَارَتِهَا الَّذِينَ تَمَسَّهُمْ

فَيُؤَبِّدُونَ مَعِيَ،

وَيَنْسَحِبُ الصِّرَاعُ.

كُلُّ الْمَدَى يَنْدَاحُ مِنْ عَيْنِي،

يَأْرَجُ فِي عُطُورِ الْخُلْدِ

حَيْثُ يَزُولُ عَنْ ذَاتِي الْقِنَاعُ.

كُلُّ الْمَدَى مُتَقَاطِعٌ

فِي ذَاتِي الْبَيْضَاءِ،

وَالشَّعْرُ الْمَصْفَى

حَامِلٌ رَايَاتِهِ الْأَلْتَقُ الْمَشَاعُ.

وَأَنَا الصُّعُودُ إِلَى مَعَارِجِ الْبَقَاءِ،

أَنَا اتِّحَادُ الْكُلِّ بِالْأَعْلَى،

أَنَا أَنْشُودُهُ الْوَصْلَ الَّذِي جَمَعَ الزَّوَائِلَ

بِالْمَدَى الْأَبَدِيِّ

فَانْكَسَرَ الزَّمَانُ عَلَى الْخُلُودِ،

وَخَطَّ أَحْرَفُهُ الْيِرَاعُ!

يَحْمِلُنِي أَلَمَ مَرَّ صَوْفٍ فِي الْوَقْتِ

إِلَى وَطَنِي،

وَيُطَارِدُنِي...

يَعْجَبُنِي مِنْ ظُلُمَاتِ الْحِقْدِ رَغِيْفًا لِلْحَرْبِ،

وَيَخْبِرُهُ فِي فُرْنِ الْمَوْتِ،

وَيُطْعِمُهُ لِمِائَاتِ أُلُوفٍ

مَغْمُوسًا بِالشَّجَنِ...

وَطَنِي ...

أَرَحَلُ فِيهِ عَيْنًا تُدْمِيهَا الرُّؤْيَا ...

وَطَنِي ...

وَجَعُ «الْحَرْبِ» النَّازِفُ

مِنْ خَاصِرَةِ الزَّمَنِ الْمَرِّ

يَجِيءُ إِلَيْنَا

وَيُعَاوِدُنَا

كَالشَّبَحِ الْهَارِبِ مِنْ أَعْمَاقِ جَحِيمِ فِينَا ...

يَأْتِينَا، وَيُطَارِدُنَا ...

تُسبى ذاتي في رؤيا «الحرب»،
ويدمعها النقصان -

تصيرُ شظايا بين حطامِ الناسِ
ونزفِ الزَّمنِ المكسور... .

تتقسَّم في الوطنِ المقهور.

لا شيءَ سِوى الأَمِ المرصوفِ
على أشكالِ الموتِ،

وذاتي

تعلّقُ بالواقعِ والموتِ المحرور... .

لَا شَيْءَ سِوَى ذَاتِي
تَتَنَاثَرُ فِي سِجْنِ الزَّمَنِ الْمَاجُورِ...

* * *

أَيُّهَا الشُّعْرُ،
لُذْتُ بِبُرْجِكَ
كَيْ أَسْتَرِدَّ التَّنَامِي،
وَأُفِلَّتَ مِنْ شَرِّكَ النَّقْصِ.
عَاوَدْتُ إِدْمَانَ ذَاتِي،
وَآخَيْتُ فِيهَا انْتِصَارَ الْحُضُورِ،

وَعَاوَدْتُ فِيهَا مُعَانَقَةَ الشُّعْرِ

يُدْخِلُنِي فِي ذُهُولِ الشُّعُورِ

أَبْيَضًا

مِثْلَ تَلْجِ الْخُلُودِ الَّذِي وَشَّحَ الْقَلْبَ.

تَنْكَسِرُ «الْحَرْبُ» فِيهِ،

تَغِيْبُ...

تَصِيرُ حُرُوفِي

وَوَطْنِي،

فِي رُؤَايَ الَّتِي تَتَعَدَّى الْمَدَى، وَكُشُوفِي...

أَيُّهَا الشُّعْرُ،
كُنْ ذَاتِي الْأَبَدِيَّةَ
لِأُشْرَعٍ فِي الْغَرَابَةِ
بَابًا إِلَى جَنَّةِ الْمُسْتَحِيلِ
وَأَرْفَعَهَا أَبْجَدِيَّةً.

يَدْخُلُ الْحُبُّ إِلَى قَلْبِي

مَعَ الثَّلَجِ،

وَيَنْمُو شَجَرًا أَبْيَضَ،

حَقْلًا مِنْ سَنَاءِ.

كُلَّمَا أَوْغَلَ فِي قَلْبِي

يُوشِينِي

بِرَهْرِ الْمَطْلَقِ الصَّاهِلِ فِي السَّمْتِ،

وَيَرُونِي الصَّفَاءَ...

يَدْخُلُ الْحُبُّ إِلَى قَلْبِي

ذَاتًا ثَانِيَةً

فَأَضْمُ الْأَبَدَ الْمَمْتَدَّ فِي ذَاتِي

حُلْمًا...

مِثْلَ لَوْنِ الْمَاءِ

تَلْتَمُّ ثَوَانِيَهُ

عَلَى فَيْضِ الثُّلُوجِ الْحَائِيَةِ.

يَدْخُلُ الْحُبُّ إِلَى قَلْبِي

فَذَاتِي أَنْشَعَبْتُ أُخْرَى،
وَعَانَقْتُ بِيِ الذَّاتَيْنِ
فِي مُطْلَقِي الصَّافِي -
أَنَا... وَالْآخِرُ الْمَذْهُولُ فِي ذَاتِي
وَلَوْ أَنَّ الْوَاقِعَ الْمَرْفُوعَ
نَحْوَ السَّرْمَدِيَّةِ.
أَنَا وَالْآخِرُ
أَعْطِيهِ اكْتِمَالَ الذَّاتِ مِنْ ذَاتِي
فَيَعْلُو فِي الْمَعَارِيجِ الْبَهِيَّةِ...

أَنْتِ، يَا آخِرُ،
تَأْتِينَ مِنَ النُّورِ
كَحُلْمٍ أَرْتَدِيهِ أَيْضًا
نَحْوَ اكْتِمَالِي...
وَتَجِيئِينَ مِنَ الثَّلْجِ
وَشَاحَا لَوْنِ الْوَاقِعِ بِالْحُلْمِ،
وَآخِي بَيْنَ ذَاتِي
وَاكْتِمَالِ الْأَبَدِ الْمَرْسُومِ فِيهَا
فِي مَدَى عَيْنَيْكَ،

يا مِعْرَاجِي الأَسْمَى إِلَى دَرَبِ الكَمَالِ.

يُتُّهَا الذَّاتُ،

أَسْتَقِرِّي فِي رِذَاذِ النُّورِ:

شِعْرِي نُورٌ عَيْنَيْهَا

وَذَاتِي ذَاتُهَا...

كُلُّ أَكْتِمَالٍ، بَعْدُ،

يَأْتِي أَيْضًا مِنَّا،

وَمِنَّا يَرْتَدِي ثَوْبَ الجَلالِ.

وَبِنَا

تَنْكَبُ الْأَشْيَاءُ
فِي تَكْوِينِهَا الْأَسْنَى
وَيَطْوِي الْخُلْدُ صَفْحَاتِ الزَّوَالِ.

رَدَدْتِ لِي طُفُولَتِي .

كَأَنَّي مِنْ أَلْفِ عَامٍ

نَمْتُ فِي عَيْنَيْكَ ،

وَاسْتَيْقَظْتُ بَعْتَةً

فَلَامَسْتُ رُوحِي السَّمَاءَ —

صَفَّيْتُ ذَاتِي فِيكَ ،

وَاحْتَرَنْتُ مِنْ عَيْنَيْكَ

ما يَشعُّ في التَّكْوِينِ؛
هَيَّأَتِ التُّرَابَ فِي قَرَارَتِي
لِوَرْدَةِ البَقَاءِ.
صَارَ الزَّمَانُ حَظَةً وَأُمْسِيَةً.
صَارَ الفَضَاءُ أُغْنِيَةً...
صَارَتْ قَصِيدَتِي
حُضُورَكَ الشَّفِيفَ فِي العَلَاءِ...
وَكُلَّمَا تَدَفَّقَتْ يَنَابِيعُ الرُّؤْيَى
تَفَجَّرَ الزَّمَانُ فِي يَدَيَّ

أَشْقَرًا،

وَعَادَ مِنْ مَتَاهَةِ الْعَدَمِ.

وَكُلَّمَا لَامَسَ نَوْرُكَ الْمَفْتُوحَ وَرَدَّةً

تَغَيْبُ فِي الْحُبُورِ وَالْبَهَاءِ،

يَرْسُمُهَا الْمِدَادُ فِي الْقَلَمِ

أُسْطُورَةً رَائِعَةً

كَقِصَّةِ الضِّيَاءِ!

* * *

رَدَدْتِ لِي طُفُولَتِي -

صِرْنَا مَعًا طُفْلَيْنِ

هَائِمَيْنِ فِي حَدِيقَةِ السَّنَاءِ،

رَوْحًا تُظَلِّلُ الْفَضَاءَ،

تَخْرُجُ مِنْ تَوَاتُرِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ،

تَسْحَبُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

فِي غَيْبُوبَةِ الْأَبَدِ -

نَصِيرُ كُلِّنا اُنْشُودَةً

وَوَاحِدًا اَحَدًا.

* * *

الفَجْرُ يَزْرَعُ الزُّهُورَ فِي الأَمَانِي

وَالعُمُرُ قِصَّةٌ،

شُبَّانُهَا ذِكْرٌ...

وَأَنْتِ فِي كِيَانِي

نِهَايَةُ السَّفَرِ...

* * *

الْفَجْرُ فِيْنَا غَدْنَا الْمَفْتُوْحُ

خَارِجَ الزَّمَانِ،

وَنَحْنُ خَارِجَ الْقَدْرِ،

وَالشُّعْرُ خَطْرَةٌ

حُدُودَهَا بِلا مَكَانِ

تُكَوِّنُ الْبَشَرَ... .

* * *

الشُّعْرُ فِيْنَا يَوْمُنَا وَغَدْنَا،

وَالصَّمْتُ وَالضَّجِيْبُ،

وَالْبَيَاضُ وَالسَّوَادُ...

فَظَاوُنَا اللَّامُنْتَهِي،

وَحَدُّنَا،

يَخْتَصِرُ الْمَطْلَقَ فِي هُنَيْهَةِ مِدَادٍ...

مَاذَا أَحْمَلُنِي مِنْ اسْمٍ؟

أَيَّ عَيْنٍ

أَرْقُبُ الدُّنْيَا بِهَا؟

مِنْ أَيِّ بَابٍ أَدْخُلُ الحُلْمَ السَّحِيقَ

وَكُلِّ بَابٍ شَرَعَتْهُ الذَّاتُ لِي؟

وَتَطِيرُ بِي رُؤْيَا إِلَى ذَاتِي

فَأُبْصِرُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا،

وَإِذَا الظَّالِمُ

يَنْشَقُّ عَنْ نُورٍ سَاحِقٍ.

كُلُّ مَا حَوْلِي يَنَامُ،

وَالذَّاتُ فِي الأَبَدِيَّةِ البَيضاءِ

تُبَصِّرُ مِنْ خِلالِ شُعُورِها

وَتَجَسُّ مَا كَانَ الوجودُ

وَمَا يَكُونُ.

لَا شَيْءَ مِنْ حَوْلِي

سِوَى زَهْوِ القَصِيدَةِ تَكْتُبُ الدُّنْيَا

وَيُنزِلُهَا عَلَى الْوَرَقِ الْفُتُونُ.
مَا زِلْتُ أَجْهَلُ مَنْ أَكُونُ!
مَا زِلْتُ مُنْجَذِبًا إِلَى أَرْضِ التُّرَابِ،
يَعُودُ بِي، مِنْ فَوْقُ،
نَحْوَ الْوَاقِعِ الْمَعْجُونِ بِالصَّلْصَالِ،
نَحْوَ زَمَانِهِ الْعَرَضِيِّ،
وَالدُّنْيَا تُقَيِّدُنِي إِلَى أَسْرِي،
وَتَحْضُرُنِي الْمَنُونُ...
لَكِنِّي أَنْشُدُّ

نَحْوَ لَطَافَةِ الْأَعْلَى،
وَأُمْسِكُ بِالرُّؤْيَى تَنَائِي
وَتَسْحَبْنِي إِلَى خَلْفِ الْوُجُودِ،
إِلَى امْتِدَادٍ شَاسِعٍ كَالنُّورِ،
أَشْقَرَ مِثْلَ سُؤْبَلَةٍ،
وَيَحْمِلُنِي الْجُنُونُ
فِي جَانِحٍ
يَرْقَى إِلَى خَلْفِ الْحُدُودِ...
فَوَاقِعِي سِجْنُ تُرَابِيَّ

على الوقتِ المديدِ -

أنا التَّعْيِيرُ في مَتَاهَاتِ السُّوَالِ،

أنا هَسِيْسُ الخَلْقِ

وَهُوَ يَغُلُّ في التَّكْوِينِ

مُرْتَدِيًّا إِزَارَ المِسْتَحْيَلِ،

أنا الضَّجِيحُ...

أنا السُّكُونُ...

آتِي وَأَمْضِي...

ثُمَّ آتِي...

ثُمَّ أَمْضِي عَبْرَ دَائِرَةِ الوجودِ

وَلَحْظَةَ الأَبَدِ العَظِيمَةِ،

ثُمَّ يَكْتُبُنِي الفُتُونُ...

أنا لَحْظَةٌ آخَتَفَتِ المسافَةَ

في أبيضاضِ الفوقِ.

لم أُولدْ مَعَ الأشياءِ،

لَكِنِّي انبَعَثْتُ بِدَاتِي الأَبَدِيَّةِ الشَّقْراءِ

يَوْمَ تَدَفَّقَ الشُّعْرُ الإِلَهِيُّ المَديدُ -

أنا الصُّراخُ،

أنا قوافي الشّعْرِ
يَسْقُطُ دُونَهَا المَوْتُ الحَرُونُ...
مِنْ كُلِّ رِيحٍ رُوئِيَّتِي،
مِنْ كُلِّ زَوْبَعَةٍ
تَحَدَّتْ هَدَاةَ الكَوْنِ البَلِيدِ.
أنا أَصْطَفَاةُ الخَلِيقَةِ
وَهِيَ تَنْسُلُ فِي المَعَانِي
حِينَ يَخْطِفُهَا المِدادُ
إِلَى انبِلاجِ اللَازِمَانِ

وَالشُّعْرُ يَفْتَحُ أُفُقَهَا
فَتَسِيحُ فِي أَبْدِيَّةِ الْأَعْلَى
وَيُطَلِّقُهَا الشُّعُورُ بِلا عِنَانٍ ...

تُشْرِقُ الشَّمْسُ ثُمَّ تَغِيبُ...
وَتَبْقَى كَذَلِكَ مُنْذُ الْأَزَلِّ؛
وَالنَّهَارَاتُ تَبْدُو وَتَرَحَّلُ
حِينَ يَحُلُّ سِتَارُ الظَّلَامِ
وَتَأْنَسُ لِلَّيْلِ عَيْنُ الْبَرَايَا،
وَالْمَدَى لَمْ يَزَلْ
مِثْلَمَا كَانَ...

مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْحَايَا...

تُوَلِّدُ النَّاسُ

ثُمَّ تَمُوتُ...

وَتَبْقَى هُنَا الذِّكْرِيَّاتُ

الَّتِي سَكَنْتْ فِي الْقُلُوبِ،

وَيَبْقَى الْوُجُودُ كَمَا كَانَ

مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ،

تَبْقَى الْبَرَايَا بَرَايَا

تَحُلُّ وَتَرْحَلُ...

لَا شَيْءَ، ثُمَّ، جَدِيدٌ إِذَا،

وَالْحَيَاةُ أَنْتَظَارٌ طَوِيلٌ

يُعَاوِدُ مَا كَانَ

أَوْ سَيَكُونُ...

أَلْحَيَاةُ تُشِيرُ إِلَى نَفْسِهَا!

غَيْرَ أَنَّ الزَّوَالَ يُحَاصِرُهَا

فِي جَمِيعِ الزَّوَايَا.

فِيَا عَالَمِي،

كَيْفَ أَبْقَى

عَلَى جَانِحِ الزَّمَنِ الْمُتَحَرِّكِ

مِثْلِي؟

وَمِثْلِي أُصَوِّرُ هَذَا الْوُجُودَ كَثِيرًا،

وَلَكِنَّهُ وَاحِدٌ؟

كَيْفَ أَحْفَظُ قِيَمَةَ هَذَا الْوُجُودِ بِقَلْبِي

وَأَعْطِيهِ مِنْ صِفَتِي

لِتَكُونَ لَهُ ذَاتُهُ،

وَتَكُونَ لَهُ سِمَةٌ وَهُوِيَّةٌ؟

إِنِّي رَاحِلٌ فِي الْحُرُوفِ

أَحْرَرُهَا

كَيْ تُحَرَّرَ هَذَا الْوَجُودَ

وَتَحْمِلُهُ مِنْ رُتُوبِ الزَّمَانِ

إِلَى وَحْدَةِ الْأَبَدِيَّةِ.

* * *

أَمْسَحُ الْكُونََ بِالشُّعْرِ...

أُعْطِيهِ لُونًا

وَصَوًّا

وَمَعْنَى...

أَرَى مِنْ خِلَالِي دِلَالَاتِهِ،

وَضَلَالِ الْمَعَانِي بِعَيْنَيْهِ.

كُلُّ الْمَدَى غَارِقٌ فِيَّ

يَغْسِلُهُ الشُّعْرُ...

يُشْرِقُ عَبْرَ ضَجِيجِ السُّكُونِ بِقَلْبِي،

وَكُلُّ شُرُوقٍ جَدِيدُ.

ضَاقَ فِيَّ الْمَكَانُ

وَضَاقَ الزَّمَانُ

فَلذتُ بِذَاتِي

لِيَكْبَرَ هَذَا الْوُجُودُ...

أُعْطِيهِ بِالشَّعْرِ

يَسْحَبُهُ خَارِجَ الْمَتْنِ،

فَوْقَ بُرْجِ الزَّمَانِ

وَأَحْصِنَةَ الْوَقْتِ،

أُعْطِيهِ رُوحِي

لِتَمْسَحَ عَنْهُ غُبَارَ الصِّدَأِ،

وَأَحْصِنُ بِالزَّهْوِ هَذَا الْمَلَأُ...

وَأَرْفَعُهُ مِنْ حَضِيضِ التُّرَابِ

إِلَى مُنْتَهَى التُّورِ،
مِنْ قَلْبِ هَذَا الْفِرَاقِ
إِلَى ضَوْءِ ذَاتِي
لِيَنْهَلَ مِنْهَا الْمَعَانِي
وَتَسْقُطَ فِي نَاطِرِيهِ الْحُدُودُ...
وَيَبْدَأُ رِحْلَتَهُ فِي السَّنَاءِ
تُحَرِّكُ خَطْوَاتُهُ نَارَ ذَاتِي،
وَيَرْفَعُهُ فِي السَّمَاءِ الْخُلُودِ.

غَنِّي عَلَى الْأُفُقِ يَحُلُ الْأُفُقُ فِي الْأَبَدِ،
قَصِيدَتِي، وَاحْمِلِي ذَاتِي إِلَى الْخُلْدِ.
ذَاتِي رَيْنُ عَلَى الْأُوتَارِ، يَرْفَعُهَا
نَفْحُ الْأَعَالِي، وَصَوْتُ اللَّهِ فِي الْجَلْدِ.
نُورٌ مِنَ الْقَبَسِ الْأَعْلَى، تَنْزَلُهُ
إِلَى التُّرَابِ كَثِيرُ النَّقْصِ وَالْعَدَدِ؛

إِذَا يَمُرُّ بِهَا ظِلُّ الْوُجُودِ فَقَدْ
صَارَ الْوُجُودُ وَوُجُودًا نُسْغُهُ صَمْدِي.
أَنَا الْمَعَانِي، وَسِرُّ الْحَرْفِ يُعْتَقِنِي
فَأَرْفَعُ الْخَلْقَ نَحْوَ الضَّوِّ وَالرُّشْدِ.
أَنَا الْغُرُوبُ، أَنَا وَحْيُ الشُّرُوقِ مَتَى
سَأَلَ الْكَلَامُ عَلَى آفَاقِهِ الْجُدِّ.
أَنَا الَّذِي يَهْبُ الدُّنْيَا مَعَانِيهَا،
وَيُسْكِنُ الْحُلْمَ فِي أَوْلَادِهِ الْمُرْدِ.

ما الموت؟ ما البعث؟ ما كُلُّ الحياةِ إذا
لَمْ يَخْرُجِ الكُلُّ مِنْ لَحْنِي فَيَتَّقِدِ؟

غَنِّي عَلَى الأفقِ يَحُلُ الأفقُ مُنْتَشِيًا،
قَصِيدَتِي، وَاحْمِلِي ذَاتِي إِلَى الخُلْدِ.

هَذَا هُوَ اللَّحْنُ الْأَخِيرُ

فَلَيْسَ لِي لَحْنٌ سِوَاهُ.

هَذَا هُوَ اللَّحْنُ الْأَخِيرُ

فَلَيْسَ يَعْرِفُهُ كَمَا نُو أَدَاةً.

كُلُّ مَا فِي الْقَلْبِ يَصْعَدُ نَحْوَهُ

وَيَرْوِحُ مُقْتَفِيًا صَدَاهُ.

يَأْتِي وَيَذْهَبُ

مِنْ خِلَالِ قَرَارَتِي،
وَيَذُوبُ فِي عَرَقِ الْحُرُوفِ
وَفِي اللَّقْيَا تَضْطَفِيهَا اللَّانِهَائِيَّةُ
مِنْ تَأَبُّدِ حَنْهَا،
وَتَعْلُ بَيْنَ حُرُوفِي الْبَيْضَاءِ
إِيقَاعًا وَأَخِيلَةً،
وَيَحْمِلُهَا الْمَتَاهُ
لِتَذُوبَ فِي قَلْبِ الْوُجُودِ
شُبُوبَ مُوسِيقِي

تَحَلُّ بِهَا الرُّؤْيَى
وَتَضَوُّعٌ فِي صُورٍ وَأَخْيَلَةٍ،
فَيَنْكَسِرُ الْغِيَابُ.
أَنَا هُنَا...

بَيْنِي وَبَيْنِي كُلُّ أَسْئَلَةِ الْوُجُودِ:
أَنَا هَبَاءٌ مِنْ سَنَاةٍ
جَمَعَتْهُ الرُّوحُ مِنْ عَدَمٍ
وَشَدَّتْهُ إِلَى أَبَدِيَّةِ الدُّنْيَا
فَطَارَ بِهَا سَنَاةٌ.

أنا ههنا...

يَئِنِّي وَيَئِنِّي كُلُّ أَسْئَلَةِ الْوُجُودِ
وَكَلُّ أَجْوِبَتِي مَدَى مَفْتُوحَةِ آفَاقِهِ.

هَذَا الْوُجُودُ يَكُونُ إِنْ أَنَا كُنْتُ.

هَذَا الْكَوْنُ أَصْنَعُهُ

وَأَخْلُقُهُ وَأَهْدِمُهُ،

وَلَكِنِّي صَغِيرٌ كَالْهَبَاءِ

وَهَشَّةٌ كَيْنُونَتِي،

وَالرُّوحُ تَحْمِلُنِي

إِلَى أَبَدٍ أَرَاهُ.

كُلُّ التَّنَاقُضِ فِيَّ،

وَاسْمِي وَحَدَهُ بَاقٍ:

تَشَدُّ بِي الْقَصِيدَةُ فِي مَعَارِيحِ الْبَقَاءِ.

أَنَا الْإِجَابَةُ وَالسُّؤَالُ،

أَنَا النَّهْيَةُ وَالْبَقَاءُ،

أَنَا الْحُضُورُ مَدَى الْغِيَابِ،

أَنَا الَّذِي أُعْطِيَ الْوُجُودَ رُمُوزَهُ

فَيَكُونُ مَعْنَاهُ تَرَكَيبًا تُرَدُّهَا الشُّفَاهُ –

سَتَظَلُّ نَفْسِي فِي «أَنَا» هُ.

* * *

هَذَا هُوَ اللَّحْنُ الْأَخِيرُ.

تَسِيلُ ذَاتِي فِي الْقَصِيدَةِ.

تَكْتُبُ الْأَشْيَاءَ.

تَخْلُقُهَا.

وَدُونِي كُلُّ شَيْءٍ بَاطِلٌ.

مَا قِيمَةُ الْأَشْيَاءِ

إِن أَنَا لَمْ أُعَمِّدْهَا بِذَاتِي؟
ما البقاء وما الزوال؟
ذاتي أَنَا كُلُّ الْوُجُودِ
وَدُونَهَا لَا شَيْءَ فِيهِ نَبْضُهُ،
لَا شَيْءَ فِي عَرَضِ الْبِرَايَا قَائِمٌ
إِلَّا إِذَا كَوَّنْتُهُ
لِيُظَلَّ يُحْيِيهِ الْجَمَالَ.
كُنْتُ السُّؤَالَ السَّرْمَدِيَّ
فَلَا جَوَابَ لَهُ،

وَلَكِنَّ الْحُرُوفَ تُضِيئُهُ
وَيَظَلُّ يَكْشِفُهُ السُّؤَالُ...
صَوَّرْتُ آدَمَ بَاحِثًا عَنِ ذَاتِهِ،
وَسُؤَالُهُ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ؛
ثُمَّ سَلَّمْتُ الْمَلَائِكَةَ بَابَ جَنَّتِهِ.
نَزَلْتُ إِلَى الْمَدَى الْأَدْنَى،
وَجَبْتُ الْكَوْنَ مَعَ نُوحٍ بِرِحْلَتِهِ،
وَضَاقَ بِي الْمَجَالُ.
وَرَحَلْتُ مَعَ جَلْجَامِشٍ فِي بَحْتِهِ،

فَرَأَيْتُنِي فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ لِأَنْكِيدُو،

وَسَامَرْتُ الزَّمانَ

فَظَلَّ دُونَ إِجَابَتِي،

وَظَلَلْتُ أُفْرِغُهُ وَأَمْلأُهُ بِذَاتِي

حَالِمًا فِي الْحَرْفِ ...

كُنْتُ أَنَا الْقَصِيدَةَ

وَالهَيْئَاتِ الَّتِي فَارَتْ

عَلَى نَضْحِ الهَبَاءِ.

تَجَادَبْتُنِي قُبَّةُ الدُّنْيَا

فَحَطَّمتُ الزَّمانَ
وَصِرْتُ أَصْفى مِنْ مَخالِقِ الزَّوالِ.
سَكَنْتُ فِي شِعْري
وَأَذْهَشْني المِحالُ.
ما زِلْتُ أَقْرَأُ فِي مَلْحَمَتي وَأَكْتُبُها،
وَذاتِي تَعْبُرُ التَّارِيخَ
مِنْ زَمَنِ إِلى زَمَنِ،
وَتَسْحَرُني ذُراهُ.
سَأظَلُّ أَعْرِفُ لِحْنَ مَلْحَمَتي

لِيَبْقَى الْوَقْتُ مَهْزُومًا

وَيُشَدَّ فِي الْحُرُوفِ

وَفِي رُؤَاؤُهُ.

هَذَا هُوَ اللَّحْنُ الْأَخِيرُ

فَلَيْسَ يُطْرَبُ بِنِي سِوَاهُ.

أَخْتُمُ أَيَّامِي بِالشَّعْرِ وَأَبْدَأُهَا...

وَأَرَى ذَاتِي تُشْرِفُ مِنْ فَوْقُ

عَلَى هَذَا الْكَوْنِ.

أَرَى ذَاتِي

تَتَغَلَّغُ فِي نَبْضَاتِ الْأَشْيَاءِ وَتُشْعَلُهَا

وَتُحَوِّلُهَا

لُغَةً تَعْرِفُ أَحْرَفُهَا

أوتار الخلقِ
على تاريخٍ لا تاريخَ له،
وأرى كلماتي
نبضاً يتجمّع في الرؤيا،
ويجمّع فيها ألحانَ حياتي...
وحياتي
لُغزٌ مرْمِيٌّ في عَيْنِ الأبدِ المفتوحِ
على حُلْمِ الأشياءِ.
أرى ذاتي لُغَةً

أَصْدَاها مِنْ وَجَعِ الْوَحْيِ،

وَمِنْ خَتْمِ الْمَطْلَقِ

فِي سَمْتِ التَّكْوِينِ،

تُحَاوِرُ أَغْصَانَ الْجَنَّةِ

فِي عَيْنِ اللَّهِ،

تُحَاوِرُ لَوْنَ الْمَاءِ

وَتَلْجُ النُّورِ الْمَتَساقِطِ

فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَأَرَى الدُّنْيَا ظِلًّا لِي

يَتَرَاقِصُ حَوْلَ عَلامَاتي...
كُلُّ الأَشياءِ تُحاورُني،
وَأُحاورُ فيها نُسُغَ الكَوْنِ،
وَأَكْتُبُهُ كَالرَّقِصِ المُشْبَعِ بِالأَلقِ.
أَكْتُبُ أَحلامَ الشَّفَقِ،
وَأوسِّعُ موسيقى الفَوِّقِ بِشِعْري
يَتَحَرَّكُ بَيْنَ اللَّحْظَاتِ.
وَأرى ذاتي
تَتَقَمَّصُ كُلَّ المَوجوداتِ،

وَكُلَّ أَرِيحِ الزَّمَنِ
الْخَارِجِ مِنْ هَذَا التَّارِيخِ.
أَنَا الصَّوْتُ الْآتِي مِنْ فَوْقُ،
أَنَا الْمَاضِي وَالْحَاضِرُ وَالْآتِي...
وَأَنَا إِلَهَةُ الْأَوْلَمِبِ
وَمُطَلَقُ أَفْلَاطُونِ
وَنَارُ بَرُومِثْيُوسِ تَصْلُبُهُ
فَوْقَ صُخُورِ الْوَحْيِ،
أَنَا رُوحُ التَّارِيخِ الصَّاهِلِ

في نارِ مَجْرَاتِي ...
وَأَنَا صَوْتُ أَثِيرِ الْأَزْوَاحِ
يُكَلِّلُهَا إِلْهَامُ الرَّؤْيَا السَّحْرِيَّةِ.
مَا زِلْتُ أُغْنِي
فِي أَحْرَفِي النُّورَانِيَّةِ ...
سَيَظَلُّ غِنَاءُ الْحَرْفِ
يَطِيرُ بِأَحْلَامِي
خَارِجَ هَذَا الْكَوْنِ
إِلَى الْقِمَمِ الثَّلْجِيَّةِ.

سَتَظَلُّ قَصِيدَتِي الْبِكْرُ وَشَاحِي،
وَمِدَادُ الرُّوحِ فُتُونٌ صَبَاحِي،
وَالشُّعْرُ دُرُوبَ الْأَبْدِيَّةِ.

(١٥ - ٣٠ / كانون الثاني / ٢٠١٦)

مطبعة روحانا الشمالي

شباط ٢٠١٦

درعون - لبنان

تلفاكس: ٢٦٣٣١٦ / ٠٩

rl_chemali@hotmail.com
